## «من مضايق الحداثة إلى فضاء الإبداع» حسب خالد حاجي:

# إدوارد سعيد وقع في فخ الغرب من حيث أراد أن يتحرر منه!

منتصر حمادة*

■ هذا كتاب لن يروق لذوي النزعة السياسوية المفرطة، سواء كانوا محسوبين على التيارات العلمانية أو الإسلامية الحركية، على اعتبار أن صاحبه، المفكر المغربي خالد حاجي، يتبنى بشكل صريح وجلي خطابا أخلاقيا في التصدي لبعض قضايا الساحة العربية والإسلامية والعالمية. (خالد حاجي. «من مضايق الحداثة إلى فضاء الإبداع الإسلامي والعربي». المركز الثقافي العربي. بيروت الدار البيضاء. الطبعة الأولى 2006. 211 من الحجم المتوسط).

على أن هناك معطى آخر، يضفي المزيد من الرصانة والجدية على ضيف هذا العرض، ويكمن في تنويه المؤلف بمشروع الفيلسوف المجدد طه عبد الرحمن، ويكفي أن نعلم أن عنوان الفصل المخصص لأعمال د. طه، هو عنوان الكتاب في آن، في إشارة غنية عن أي تعليق أو تأويل.

جاءت عناوين الكتاب كالتالي: محاولات النهوض بين منطق الإلحاق وإمكانات التجاوز، قضية المرأة: من منطق الضحية إلى سلطة الجلاد، مستقبل الإنسان بين الغيبوبة الثقافية ومُخطط الانتحار الحضاري، الوعي العربي الإسلامي وذكرى مايو 1968، نظرية الصراع الحضاري: من الثورة إلى القومة، الحكمة والتداخل بين الفكري والأدبي، من مضايق الحداثة إلى فضاء الإبداع الإسلامي والعربي: طه عبد الرحمن نموذجا، التنمية: مطلوب لا يُلحَق.

### نقد طرابيشي وعلي حرب

يشتغل المؤلف في الفصل الأول على تقييم أطروحات رواد النهضة العربية الإسلامية، مؤاخذا على جورج طرابيشي عدم قدرته على مساءلة البرامج الإنمائية الإنسانية المجردة عن المرجعيات الثقافية المختلفة، مما ينهض دليلا على أن ما يُبشِّر به من فكر منعتق لا يرقى إلى مستوى تصور نهضة عربية دون الإحالة إلى تقدم الآخر. فعبثا يحاول طرابيشي أن يقنع نفسه بكونية الحضارة حتى يجد مسوغات لاقتباس منطق العولمة وتثبيت دعائم الحداثة في مواطن ثقافية متعددة.

بالنسبة لعلي حرب، ومن منطلق انتمائه إلى أصحاب الحداثة، فإنه يراهن على ثورة العقل من أجل مواقفة الغرب ـ أي المراهنة على محاربته بأسلحة من جنس أسلحته ـ مُقترحا الذوبان في تاريخ الغرب بقصد بلوغ مستوى الخَلق والابتكار. وبيَّن أن كلا الطرفين عاجز عن التفكير والحياة خارج إطار الحداثة والنهضة الغربيتين. ولعل قارئ «حديث النهايات» ـ أحد مؤلفات علي حرب ـ تستوقفه عبارات لا حصر لها تدل على انبهار قلما نصادفه عند مثقف أمام منجزات العولمة، مجددا التأكيد على أن الاعتراض على العولمة هو في جوهره اعتراض على أصولها الميتافيزيقية ـ بيت القصيد المسكوت عنه في مأزق المرجعية ـ وتعبير عن رغبة صادقة في الخروج من تاريخ الغرب، هذا التاريخ الذي يعتبر محق الغيب ونفي الطبيعة شرطين أساسيين من شروط تحققه.

يراهن أصحاب الحداثة على ثورة العقل والمراهنة على محاربته بأسلحة من جنس أسلحته، ويقترح هؤلاء، مُمَثلَين في شخص علي حرب، الذوبان في تاريخ الغرب بقصد بلوغ مستوى الخلق والابتكار. وبدَهي أن كلا الطرفين عاجز عن التفكير والحياة خارج إطار الحداثة والنهضة الغربيتين.

لا يسلم إدوارد سعيد من نقد المؤلف، ونقصد المرجعية الفكرانية لصاحب «الاستشراق» و«الثقافة والإمبريالية»، فعلى غرار المأزق الذي سقط فيه الكثير من مثقفي مرحلة ما بعد الاستعمار، يؤاخذ المؤلف على الراحل السقوط هو الآخر في فخ الغرب من حيث أراد أن يتحرر منه. لقد استدرجه الاشتغال بمنطق الثورة على الغرب من داخل الغرب إلى الاندراج في منظومة هذا الغرب إلى درجة التماهي، فأصبح خطابه الثائر في الأصل لا يمد الإنسان العربي بما يكفي من أسباب المقاومة والصمود.

وإذا كان هذا هو حال الخطاب الذي أنتجه الإنسان العربي العارف ببواطن أمر الغرب وتاريخه، المُتَبحِّر في واقعه، يتساءل حاجي، فكيف يكون حال خطاب أنصاف المثقفين المُتشدقين ممن لم يخبروا حقيقة الغرب إلا عن بعد وعبر توسط ترجمات اتباعية رديئة في أحسن الأحوال؟ لقد ذهب هؤلاء مذهبا ملتويا فأنتجوا خطابا ملؤه التناقضات، يصرحون بالرغبة في الانعتاق من أسر الغرب ويُضمِرون التقديس لعلومه ومؤسساته ومنجزاته، يحسبونه المُجَسِّد الفعلي للتطور التاريخي، ويُخَيِّلُ إليهم من فرط الغفلة والتبعية ـ ويقصد تبعية المغلوب للغالب ـ أن هذا الغرب يقف على قاعدة كلية مطلقة لا يأتيها الباطل بحال. وبقدر ما يضمرون التقديس للغرب، يصبون جام غضبهم على المشرق مُمَثلا في إنسانه، وفي دينه، وفي تقاليده، وفي تخلف «جاهزيته الثقافية» وفي خلوه من العقلانية، ولا تنقصنا الأمثلة المُجسدة لرموز تيار أبدع في تكريس بدعة «العمالة الحضارية» بتعبير المفكر المصري أنور عبد الملك.

إن مآل هذا الخطاب الناقد للعقل العربي، المبخس للذات العربية والإسلامية هو الفشل الذريع في مخاطبة القوى الحية في المجتمعات التي يتحدث باسمها. وإن شأن أصحابه هو شأن جملة مثقفي حقبة ما بعد الاستعمار الذين يجعلون سقف طموحهم هو أن يصيروا غربا آخر وأن ينتزعوا الريادة منه فينصبوا أنفسهم محله. إنهم يطمعون في أن تصير الضحية جلادا. وهذا ضرب من المحال.

نقد الكاتب لطرابيشي وحرب وسعيد وغيرهم بالطبع، يحيلنا على إشكالية كبرى تؤرق الجهاز المفاهيمي لأغلب ما تحرره الأقلام العربية والإسلامية. نتحدث تحديدا عن إشكالية المرجعية، ولطالما أكدنا في معرض تحرير قراءات تقريرية أو نقدية لهذا العمل أو ذاك على ضرورة الحسم في مرجعية أعمال عمرو أو زيد حتى تتضح الأمور أكثر، وحتى نكون صرحاء، مع ذواتنا على الأقل، في تسمية الأمور بمسمياتها الحقيقية، دون رتوش أو لف أو تقية أو ازدواجية.

مرجعية المؤلف جلية وصريحة، على خلاف مرجعيات العديد من أقلام البلبلة الفكرية والدعاية الفكرانية السائدة في الساحة المغربية والعربية والإسلامية للأسف الشديد.

### نقد الغيبوبة الثقافية الغربية

يلاحظ الكاتب أن عالم الصناعة الذي لا يبلغ الكمال إلا في المستقبل هو جوهر مقولة التطور وهو مظهر رئيس من مظاهر الغيبوبة الثقافية التي يعاني منها الغرب. فإذا كنا بفعل الاحتكاك مع الغرب نهرب نحو الماضي، فالغرب يهرب نحو المستقبل. وكلانا مغترب على طريقته، في تكريس عملي لمبدأ النقد المزدوج الغائب قي أعمال أقلام اليوم، مضيفا أنه متى ما استطاع عقلاؤنا أن يجردوا «العلم» التقني الصناعي من جذوره المعرفية الطوبوية والمغيبة للغيب، حق لهم الاشغال به، ومتى جهلوا بالجذور المعرفية لهذا العلم، صَعُبَ عليهم الإبداع العلمي وانغمسوا في تقليد الغرب وتكريس التبعية له من حيث يظنون أنهم يواجهونه. ولما كان سقف الطموح العربي الإسلامي يقف عند بلوغ ما يوجد في الغرب من التقانة والصناعة، خَفِيَ على المشتغلين بالعلم في بلادنا ما يشين العلم الحديث من نقائص وغاب عنهم ما يتوفر عليه الغرب ذاته من نقد لامع للتكنولوجيا ومن تنبيهات لا حصر لها من مغبة الانسياق وراء هذا العلم بأعين مغلقة، ثم سَهُلَ عليهم تبرير الدعوة إلى اقتباس كل مُكتشَف تكنولوجي مهما كانت عبثيته، وصَعُبَ عليهم المساهمة في التقويم الثقافي للاعوجاج الصناعي.

ولأن العديد من الأقلام العربية، وخاصة تلك المعنية بالتعليق والتعقيب على تقارير التنمية البشرية إياها، تتخذ من الحالة اليابانية النموذج الأبرز في الاقتداء، فإن المؤلف يتوقف بالذات عند هذا النموذج/الحلم، ملاحظا بداية أن الثقافة اليابانية دخلت هي الأخرى في نوع آخر من الغيبوبة الثقافية. فلقد جَنَّدَ اليابانيون طاقاتهم الإبداعية وحددوا لأنفسهم هدف هزم الغرب تقنيا في عقر داره، فأصبحوا قمة في الاغتراب، يوظفون أعظم المنجزات التكنولوجية لأتفه الأغراض ويبتكرون الآلة بعد الآلة وهم يحطمون مع كل آلة جديدة مهارة إنسانية أو اجتماعية أو نفسية.

أما المجتمع الياباني، فقد أصبح قمة في الاغتراب داخل عالم الصناعة، يولون الظهر إلى الشواطئ الطبيعية وهم يتطلعون إلى بحر اصطناعي وأمواج اصطناعية وشمس اصطناعية. ولقد أخطأ من قال بضرورة استلهام التجربة اليابانية في العالم العربي، لأن اليابان صار غربا، يدين بمنطقه وينغمس من أصابع رجليه حتى شعر رأسه في مرجعيته الاستهلاكية الليبرالية بعيدا عن روح الحكمة الشرقية.

وقد حصر معنى الثقافة لدى اليابانيين في اقتناء أغلى اللوحات الأوروبية وفي ترويض أطفال في سن الرابعة على عزف مقطوعات بتهوفن.

وهنالك ضرب آخر من ضروب الغيبوبة الثقافية هو الذي كان وراء ما لحق بالهنود الحمر والإسكيمو من أمراض جنسية معدية ومن إدمان على الخمور والمخدرات، أضعفت نسلهم وجردتهم من قدراتهم على المقاومة والاستمرار في الحياة في وسطهم الطبيعي. وقد توقف المؤلف مليا عند قصة التقاء الرجل الأوروبي بالهنود الحمر لما لهذه القصة من دلالة عميقة تعكس علاقة الغرب بالثقافات الأخرى عموما. وضمن نفس الرؤية النقدية المزدوجة، يندد حاجي بالمسؤولية الذاتية للعرب والمسلمين، في تكريس «التهميش الحقيقي لحضارتنا ولديننا ولأنفسنا»، حيث يعتبر أن مصدره ذواتنا وتقاعسنا أولا وقبل كل شيء، متوقفا مثلا عند طبيعة التناول الإعلامي العربي لذكرى مرور ثلاثين سنة على اندلاع ثورة 68، ومُستنتجا أننا «لا نملك الشجاعة الكافية لنتحول إلى دارسين لتاريخ الغرب ولحضارته».

### حاجة الحداثة إلى عبادة

في تقاطع مع أطروحة «الزمن الأخلاقي الإسلامي» لطه عبد الرحمن، يرى خالد حاجي أن المسلمين مدعوون أكثر من غيرهم إلى التكفُّل بما يصفه «التأطير» الروحي لحركات الاحتجاج ضد النزعة المادية التسلطية المفصح عنها في الخطابات الاقتصادية والسياسية والفلسفية والعلمية المتحدثة باسم الغرب، حتى أنه يقرأ ظاهرة «الهيبزم» و«البانك» بمثابة تعبير عن تضايق الإنسان الغربي داخل فضاء الحداثة وتشوف إلى طريقة أخرى في مزاولة الحياة وممارسة الوجود، مُلاحظا أن الصراع الحقيقي اليوم هو تدافع مَا بين قوى تستند إلى مرجعيات مختلفة: إما إلى مرجعية دينية تُملي على الإنسان طلب ترسيخ الذات الإنسانية في الكون مع تحصيل المَعيَّة الإلهية، وإما إلى مرجعية حداثية غربية تستحث الإنسان على طلب ترسيخ الذات الإنسانية في تنكر تام للذات الإلهية. وتتمخض عن هاتين المرجعيتين (الدينية الفطرية والحداثية الغربية) مجموعة من التصورات المتضاربة والقيم والسلوكيات المتصادمة.

والمرجعية الدينية إجمالا، ومنها مرجعية المسلمين بالتحديد، تستند في تأسيسها إلى صوت النبوة، فلذلك نجدها مرجعية تقيم وزنا للغيب، لا تجعل من المعرفة وسيلة للإحاطة بالمجهول ولجعل كل ما يقع متوقعا. فكلما عزف الإنسان المصغي لصوت النبوة المؤمن بالغيب عن الاشتغال بالمعرفة التي تدعي الإحاطة بالواقع والمتوقع، يؤسس لضرب من المعرفة يمتزج فيه النزوع الفطري نحو بسط النفوذ الإنساني على الواقع والمتوقع بالنزوع التعبدي نحو طلب التسديد في القصد والتأييد في الفعل من القوة الإلهية التي يسع علمها كل شيء.

(في آخر محاضرة له حول عوائق الحداثة، أشار المفكر المغربي عبد الله العروي بشكل لا لبس فيه إلى عائق مجتمعات عربية ومسلمة لا يمكن أن تكون حداثية لأنها تلجأ إلى الغيب في معيشها اليومي!)

لا نظن اليوم ـ يضيف حاجي في إشارة دالة ـ أن نجد صرخة أقدر من صرخة «الله أكبر» و«الله أعلم» على التعبير عن الرفض لمنطق الاستعلاء المضمر في «نسقية» العولمة والنظام الذي يُبَشِّر به أصحابها. ومن هنا تبرز مسؤولية المسلمين اليوم أمام تحديات الساعة، ويصفها خالد حاجي بالمسؤولية المزدوجة، أو الدور المزدوج: فعلاوة على ضرورة صدهم «للغرب المباسل» الذي لا سبيل إلى التحاور معه، عليهم إيقاظ العالمين، بمن فيهم الغربيون وتذكيرهم بحاجة الحداثة إلى عبادة.

* كاتب من المغرب

## في اجتماعهم في بيت الشعر:

# لجنة الطوارئ الثقافية والتشكيليون الفلسطينيون نعوا صاحب المسيرة إسماعيل شموط وناقشوا المنهاج الفلسطيني

رام الله ـ «القدس العربي»:

عقد مؤخراً اللقاء الأسبوعي الخامس حول التطبيع في قاعة الشاعر حسين البرغوثي في (بيت الشعر) والذي تمحور حول المنهاج الفلسطيني: الحذف والإبدال، حيث قدم الشاعر د. المتوكل طه المداخلة الرئيسية حول المنهاج الفلسطيني وقد تناول اللقاء التغييرات التي طرأت على المنهاج ونظرة مقارنة للمناهج الفلسطينية ومناهج النقيض وآليات المعالجة. وقد خرج المجتمعون بتوصيات إلى لجنة المناهج ووزير التربية والتعليم العالي لإعادة النظر في المناهج وأن تشكل لجنة من المبدعين والشعراء لمتابعة النصوص التي توضع في المناهج في سياق اختيار الأفضل وأن يختار النص من له علاقة به من المهتمين.

كما أشار يوسف القزاز، مدير عام الإذاعة إلى نية الإذاعة عقد غير لقاء يتناول المناهج في الإذاعة.

كما أصدر المجتمعون بياناً ينعون فيه أحد مؤسسي منظمة التحرير وأحد أقطاب الحركة التشكيلية الفلسطينية ومؤسسها الأمهر الفنان إسماعيل شموط.

وفي حديثه أوضح المتوكل طه: بخصوص المنهاج الوطني كان تأصيل التربية منذ الانتداب البريطاني وكان عبد اللطيف البرغوثي، قد كتب ثلاث قراءات في مجلة الأسوار مهمة في هذا السياق. وآنذاك لم تكن الرقابة شديدة كما هو حاصل الآن، وقد استفاد آنذاك من المنهاج عدد من الدول العربية، بريطانيا لم تعط انتباهاً للمنهاج على الرغم من أنها كانت صاحبة القوانين الانتدابية، بعد عام الـ48، أدخل المنهاج الإسرائيلي.. وبعد النكبة أصبحت التعددية في المناهج، هذه التعددية بقدر ما تثري ولكنها تصنع الاختلاف.. وهو ما سمي البحث عن آلية لجمع المناهج الفلسطينية المتعددة.. ونأتي إلى موضوعة المنهاج، الذي يكوِّن الفرد والمجتمع: العامل الرسمي ثم المؤسسة الأهلية: البيت والحارة.. والخطاب الأهلي.

العمود الفقري في كل ذلك هو المنهاج المدرسي وكذلك الفضائيات والإنترنت وهذا يفسر تفريغ العملية التربوية من محتواها. المنهاج المدرسي: هو غرفة الصف والتحصيل.. وثانياً توافر منهاج متماسك ومعلم مؤهل ومرتاح مالياً حتى يقدر على العطاء. ثم توفر فضاء مفتوح للطالب، فضاء غير مقيد.. أشاع الاحتلال أجواء غير مناسبة للتعليم منذ ما يزيد على 30 سنة لتفريغ العملية التربوية. فقام التبديل والإحلال كإلغاء قصيدة تدعو للنضال.. وجعل المنهاج غير حواري بل تلقينياً.

حتى ينجح المنهاج يجب أن يتصل مع المكونات التي تشكل الفرد. وإذا قلنا أن فلسطين من النهر إلى البحر، ثم يسمع الطالب من التلفزيون أن الوطن نصف الشريط الساحلي يصبح هناك ارتباك وعدم انسجام وعدم تماه.

وأضافَ: المنهاج بالتالي عامل من عوامل كثيرة ينسجم مع المؤسسات التي تكوّن المنهاج..

المنهاج يجب أن يبدأ بفهم المحيط، وإذا قرأت لشاعر أموي فالآن أقرأ محمود درويش. وهذا هو فهم المحيط والعوامل الأخرى لتشكيل المنهاج.. ويجب أن أخلق عوامل تجديد المعلومات.. التعريب ليس فقط أن أدرس باللغة العربية.. وإنما المجتمع العربي.. وعقّب طه: المنهاج يتطلب تأهيل المعلمين في دوريتين كل سنة وممنوع أن يدرس المعلم أكثر من عشر سنوات، فالفضاء ملبّد بالطائرات وعلينا بحث عمليات الدهم وأثرها على النشء الجديد.. وقد وجدت 16 عنصراً لعدم الانسجام في العملية التعليمية: عدم القدرة على الاستيعاب، والخوف والتشتت.. وغيرها.

المنهاج يجب أن ينهض على الحوار والجدل.. وبالإمكان المزاوجة بين الحوار والتلقين.. ويمكن القول إن هناك استحقاقاً سياسياً لتغيير بعض الأمور.. السلطة غير مضطرة. وحتى لو اضطررنا يجب أن يكون هناك ندية في التغيير من الطرف الآخر..

وقد عقبّ د. مصطفى الرنتيسي: أنا خريج حسب مناهج الانتداب ومارست مهنة التدريس.. بالنسبة لمناهج الانتداب، مناهج الانتداب كانت معنية بحشو عقل الطالب بمعلومات لها أول وليس لها آخر. وليس لها علاقة بتكويننا الوطني. بريستد المؤرخ يعلمك تاريخ الأدب الإنكليزي القديم ولم يترك حيزاً لأشياء إضافية، ثم عندما حصل التفكير في المناهج: بعد 48 أقام الفلسطينيون في سورية ومصر والأردن.. الطلبة الفلسطينيون الذين درسوا المنهج السوري، زاد وعيهم القومي ولم ينسوا قضيتهم. ومع قيام المنظمة عام 64، من أهم الدوائر التي تأسست دائرة الثقافة والفنون التي كان على رأسها الراحل إسماعيل شموط، ثم شارك خليل عويضة. في الكويت عملا مدارس مسائية.

واختتم د. المتوكل: اقترح عمل لجان للكتابة عن الشباب والذاكرة والمذابح والتطرق ضمن نصوص للحديث عن موضوعات جديدة مثل: ما هو الاستعمار والحكم الذاتي من وجهة نظر وطنية وأصيلة.. وتقديمها كنماذج موازية للنص الأصلي.. في إسرائيل على كل عضو كنيست أن يعطي محاضرة في مدرسة ولماذا لا تستدعي مدارسنا وجامعاتنا الشعراء؟

### التشكيليون الفلسطينيون ينعون الفنان الفلسطيني الكبير إسماعيل شموط

في هذه الظروف العصيبة.. توقف عن الخفقان قلب الفنان الفلسطيني الكبير إسماعيل شموط إثر عملية جراحية في إحدى مستشفيات ألمانيا.

لقد ولد الفقيد الكبير في مدينة اللد عام 1919، وهاجر مع أسرته في عام النكبة 1948 واستقر في خان يونس.. ومن ثم أتيح له السفر ودراسة الفن في القاهرة، كما حاز بعد تخرجه من كلية الفنون الجميلة على منحة دراسية لمتابعة الدراسة في إيطاليا..

وبعد تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عمل إسماعيل شموط رئيساً لدائرة الثقافة والفنون ببيروت، حيث أسس وترأس الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين، وأسس كذلك وترأس الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب. وبعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 تابع إسماعيل شموط نشاطه القيادي والإبداعي من الكويت وتونس.

لقد كان إسماعيل شموط يؤمن بالأسلوب الديمقراطي في العلاقة مع الفنانين، ويرى أن من واجب الفنان أن يحافظ على كرامته وإخلاصه لقضية الوطن السليب.

والجدير بالذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد افتتح شخصياً معرض إسماعيل شموط في القاهرة عام 1954. كان إسماعيل شموط يمتلك مقدرة إبداعية عالية اعترف بها البعيد قبل القريب. وقد شكل فنه جزءاً هاماً في مدرسة الفن من أجل الحياة ومن أجل النضال لصالح قضية الشعب، ومن أجل استنهاض إرادة الشعب ضد المحتلين.

وقد زار إسماعيل شموط الأرض المحتلة في السنوات الأخيرة والتقى الفنانين الفلسطينيين، وكان يتمنى العودة إلى أرضه التي قضمتها مستوطنة «بساغوت».. كان يرغب في أن يقيم على أرضه أكاديمية للفنون يتكفل بإنشائها في التأسيس والتقعيد للحرية التشكيلية، لم يمد أحد اليد لهذا الراحل الكبير لإنجاز حلمه، فهل من يحمل الراية ويكمل الحلم! المجد والخلود للفنان إسماعيل شموط الابن البار للشعب الفلسطيني وتعازينا إلى أرملته الفنانة الكبيرة تمام الأكحل ولأنجاله الأعزاء يزيد وبلال وبشار.

وللحياة ما ترك هذا المبدع الكبير.

لجنة الطوارئ الثقافية

بيت الشعر

# أغوالونا وقصائد أخرى

## للشاعر الشيلي لويس أرياس مانثو

AGUALUNA XII

**أغوالونا** XII

من أنت؟ كنت تسألني
وكنت أجيب: صعلوك أنا
وفارس
اليوم بوسعي أن أفاتحك بأني موصول
بمحرك لا يني يهز العالم
بطاقة لها هدير حين يلهج بها
بلغة الصفوة المنتخبة
ورموز الشرق الطاعنة في التاريخ
تماما مثلك حبيبتي، أنت التي تحبينني ليلا
من المهد النائي تجيئين مشتاقة
لتشاركيني نشيد الشراشف
والعرق والنظرات الناطقة

أغوالونا، ما كنت لأخشى الصمت
الى جانبك، أمضي الى تخوم السر
فأنا، الى جانبك، تهت في العتمة
لأخرج منها نظيفا ونقيا كالثلج
والى جانبك، تعلمت كيف أمارس الحب
مع عناصر النهار والليل
مع الصخرة الجبلية الوحيدة
أو كذلك مع الأروكاريا، شجرة الصنوبر التي تعرف من أكون

ربما أعود أنا من المحارق
أو من المقاصل
ولكنني ماثل أنا هناك حبيبتي، لأحبك

أحب أن أرى هذا السيف الجديد
كما أحب أن أراك عارية
بلا دروع الحديد وبلا ثياب الماء
أريني نور القمر
كيف يلامس راحة يدي
نغم الكون، أصغيت اليه
كان يشبه أزيز الخذروف
عندما يلهو به الطفل صاخبا

أقداري
أحملها في روحي
حروفا مقصوصة
هي ذاتها تلك التي كانت، أتذكرين
عندما كنت في ما مضى أكافح، مثخنا بالجراح؟

AGUALUNA XIV

**أغوالونا** XIV

أغوالونا حبيبتي
حلمت هذه الأيام الأخيرة
بأننا كنا في غابة ملتفة الأشجار
مجموعة من المحاربين والمحاربات
كنا نكافح من أجل قضايا عادلة وأزلية
وفجأة حدث الهجوم
لم ينج منه أحد
بمنتهى الوحشية تم اغتيالنا
على أنه كان لنا الوقت
لعهد بدمنا أمضيناه

مرت السنون والقرون
أعمار الروزنامات
جاءت الحروب والغزوات
شتيمة أجدادنا الأولين
ومكر المحاربين الأقحاح
المذابح والانقلابات
التنكيل والجرائم المسجلة ضد مجهول
بدا العالم في حالة حصار
وكنت أرى كل شيء في صور متلاحقة
تفرغ اسمي من دمه
فجأة بدا النور وقد عتمته السنوات
نظرة أليفة
لم يزدها الزمان الا عنادا
أخذتني من يدي لتضغط، الى حد ايلامي، عليها
كنت أبحث. تقول لي، عنك
عنك بحثت وها إنني ألقاك أخيرا
أنت تعلم
كلنا عائد لا محالة
ما زلنا جميعا على العهد
نعود من غابة الحباحب
من هناك، حيث أحرقوا جلودنا و عظامنا
ولكنهم سهوا عن أن يحرقوا الروح منا
من هذه الذكريات انبثقت، حبيبتي
وفي داخلي المضرم بالحرائق
لا أفتأ، مرتجا ومأخوذا بنظرتك الساحرة
أعاين خط الأفق المتقطع
بلهب الشمس والأرض السوداء

دعيني حبيبتي أنشد في قلعتك ملاذا
امنحيني سر تلك النزهات الذهبية
عبر البراري التي مر عبرها، ألف مرة، الدمع والأمل
كعقد بحرية
منقبض قلبي
امنحيني قبلاتك، قبلات أغوالونا
أريد أن أحس بأنني أحيا

### من كتاب أغوالونا

El reencuentro en cada instante
هو التلاقي من جديد وكل لحظة

بشكل أو بآخر نتلاقى كلنا
هنا أو هناك
هنا، في عقر داري
أو هناك في حافلة
لا يهم أين ولكننا نلتقي
في تقاطع الطرقات
أو في حديقة زرقاء
في آخر الطريق أو صدفة
لا يهم المكان
فالثابت هو أنك هناك

اذن وهكذا أيضا
ينتهي الشاسع ضئيلا
وتنقلب المتاهة نهجا لها أسماء

الجميع، مؤمنون وغير مؤمنين
الجميع، عبر هذه الجهة
بوجوه شاحبة
ظمأ وجوعا
ولكن بشرر في النظر
الجميع، وفي لحظة ما، نلتقي من جديد
الجميع، من هنا، مصارعون لا يقهرون
محاربو الماضي الغابر ومقاومون معاصرون
عادلون ومخدوعون، أصحاب قضية
فاعلو خير وحب نبيل
مشاؤون، مسافرون، واهبو البسمات
جوالون ينشرون الأمل
شعراء يذرعون النهج المعتمة
ويضيئون الروح
الجميع، لا يهم أين وكيف
فالثابت هو أنك هناك

الجميع، علمانيون أو ارتيابيون
جميعهم مروا من هنا
وجوههم شاحبة
بضربات سوط الشمس
لكن بقلوب ملونة
جميعا، في لحظة ما، نتراءى في صراع القرون، هذا

أطفئي ألمك
فمن أجل هذا نحن لسنا وحيدين
كثر نحن، نعد بالملايين

انتصبي في صمتك وأصغي
تأملي القمر، وحيدة، في الليل المدلهم
عايني بهدوء هذه النظرة واخترقيها
ودعي الريح تحملك كورقة
ابحثي بعمق عن حلم ما، في الليل، هكذا
اذن، سترين، غدا ستلقاني بالتأكيد

Los crculos viciosos de la existencia

### حلقات الوجود المفرغة

كل شيء يدور ونحن أنفسنا ندور، أيضا
كما النجوم
كما القمر المتلفع بالأزرق
كما روحي شبه المنكفئة
لك، لأجلك حبيبتي
من أجل أن تحيا روحي
ومن أجل جسدي كي يفنى
كل شيء يدور ثابتا ومنتظما
تماما كما تفعلين أنت حبيبتي
في هذه الحركة الدائبة جيئة
وذهابا
والتي فيها أتورط عندما أكون هنا
كل شيء يدور كما تدور المدينة
بجوعاها في كل ركن من الشارع
وبرجال الأعمال الذين ما انفكوا يدورون
وببائعات الهوى يبحثن عن ضالتهن وهن في
دوران لا يني
مثلي أنا، حبيبتي، مثلي أنا
أبحث في ذهول وحائما، عنك
فلا يتسنى لي لقياك
كل شيء يدور
كما ألكترونات ذراتي
عندما أنطلق غاضبا في اثرك حبيبتي
وكي أجسد حبي لك، هل تدرين؟
يقطع ذهني من ثمة وباختصار هذا الانتظار

كل شيء يدور كما عجلات الأوتوبيس
التي كانت بعناد تدور وتسرق مني الزمن
عندما كنت أحبك فقط، طويلا وعميقا

كل شيء يدور كما كانت قطرات عرقي
والعجلة اليتيمة لمنقلتي
عندما كنت على وجهي أهيم، مختبئا في السماء
هائما كنت وكنت أجهل كل شيء عن وجودك البعيد

هكذا أيضا تدور الأشياء هناك
لأن كل شيء دائري أو دائرة
كما الكون والذرة
مثل روحي وروحك حبيبتي
تدور الأشياء كما التاريخ
وتكون الولادة من دائرة فائقة الوصف
ثم الانبعاث من جديد من عجلة كبيرة
عندما تتوقف، مستنزفة، عن الدوران
عندها تولدين وأولد متحابين
ونأخذ، منفصلين، طريق الحياة
ولكن لنلتقي في المحطة الأخيرة
وهكذا، بلا انقطاع والى الأبد

كل شيء، مثلك أنت
حبيبتي ومثلي أنا
كل شيء يتلاقى
حبيبتي، كل شيء يذهب
وكل شيء يعود
في لحظة، كل شيء يعود.

من كتاب «الف عام من الحب»

**عرّبها عن الاسبانية مع مقارنتها، استئناساً، بالترجمة الفرنسية يوسف رزوقة**

### سيرة ذاتية

لويس أرياس مانثو
شاعر
أمين عام الحركة الشعرية العالمية بأمريكا اللاتينية /شعراء العالم
من مواليد 1956 بالشيلي
عاش في عهد بينوشيه سنوات المنفى /12سنة/ الى حدود 1991 ليعود الى موطنه الأصلي ويبعث في سانتياغو دار نشر «أبوستروف» التي تخصصت في نشر الكتب بالفرنسية وتوزيعها
نشر عديد المؤلفات الابداعية نذكر منها:
شعر
أغوالونا
ألف عام من الحب
لحظات
الى جانب روايتي سيرة ذاتية تعكسان الجانب النضالي لديه.